

# المناھل

88

مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية

## تراث وآثار مغربية



منشورات



وزارة الثقافة

I Manahil - ISSN : 0851/0253 - Dépôt légal : 1974/6 Janvier 2011 - Prix : 20 Dh

منشورات  
وزارة الثقافة

88  
Janvier 2011

الثمن :



صورة الغلاف:

خريطة العالم للجغرافي  
المغربي الشريف الإدريسي  
1165-1100 هـ / 493-560 م

# المواسم بين الفلكلور والتاريخ في إقليم أزيلال

\* محمد حقي

يقال إن "الموسم احتفال على شرف ضريحولي الدوار أو القبيلة"<sup>(1)</sup>، ويمكن توسيع التعريف واعتبار الموسم (المعروف كما ينعت في البدائية) احتفالاً سنوياً بجماعة قروية معنوية فلاحية أو دينية بحضور قبر ولي أو بدونه. وإذا كانت أرض المغرب - كما يقال - تنبت بالأولئاء فالامر ينطبق أيضاً على المواسم التي ترتبط بهم، إذ تتعج بها مناطقه في مختلف أوقات السنة وخاصة في فصلي الربيع والصيف. ولا يشند إقليم أزيلال عن القاعدة إذ يشهد سنوياً عدداً كبيراً من المواسم، بل أكثر من ذلك استعادت بعض من تلك التي أهملت وكادت تنسى حياتها بفعل التوجه الاقتصادي والسياسي للبلد. وينطلق اهتمامنا بال موضوع من رغبة قوية في فهم هذه الظاهرة كجزء من التراث الثقافي للمغرب من خلال الوقوف على وجهتها التاريخي والفلكلوري<sup>(2)</sup>. وسنعمل على جرد أهم المواسم في النطقة وعرض أهم

\* أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة القاضي عياض،بني ملال.

يستعيرونها ولا يعيدونها بعد ذلك. ولا أنسى أن أذكر ما قدمه كتاب "قبيلة أيت عتاب" لعيسى العربي من معلومات حول مواسم هذه القبيلة. ويضاف إلى كل هذا بحوث طلبة الإجازة الذين جمعوا أخباراً من الرواية الشفوية حول بعض المواسم وقاموا بزيارات ميدانية مكتنهم من جمع مادة مهمة ومفيدة. وأذكر في الأخير أن مندوبي السياحة بالإقليم نشرت لائحة بأهم الموسم السنوية. وكما يلاحظ فالذى يتوفى من مادة قليل وما جمع منها غيض من فيض مما يبين حجم المسؤولية الملقاة على عاتق المهتمين، وأكثر من هذا فالذى جمع بهم أساساً الدير الجبلي والمناطق القرية منه بينما ظلت أعمق الإقليم الجبلي مهملاً تماماً.

## 1-2- جدول أهم المواسم بالجهة:

يلاحظ أن الجدول يتضمن خمسة أصناف من المواسم:

- مواسم الربيع
- مواسم الصيف
- مواسم الخريف
- موسم المولد النبوى
- مواسم يهودية

وستهتم بالأصناف الأربع الأولى بينما لن تتحدث عن الموسمين اليهوديين اللذين يرد ذكرهما رغبة في الإخبار عن وجودهما واستمرارهما في الانعقاد.

المظاهر الاحتفالية التي تعرفها ثم الغوص عميقاً للبحث عن أصول مجموعة من السلوكيات التي تتضمنها. وبالرغم من طرحنا ورغبتنا الشديدة في السير بعيداً، فإن ضعف المادة الإخبارية وقلة الاهتمام بالموضوع من قبل الباحثين تكبل أيدينا و يجعلنا عاجزين عن تحقيق جزء كبير من طموحاتنا. ومع ذلك فلم نفقد العزيمة وعوضنا بعض النقص بالرواية الشفوية والمقابلات مع أبناء الجهة والأعمال النادرة المنجزة حول الموضوع لرسم صورة تقريبية عن الظاهرة تساعد على فهمها وتثير اهتمام الباحثين وتحريك هممهم لدراستها. وسنقسم الموضوع إلى نقطتين:

- الموسم في الفلكلور: المظاهر الاحتفالية.
- الموسم في التاريخ: البقايا القديمة في الاحفالات.

## 1- الموسم في الفلكلور:

### 1- المصادر:

بالرغم من كون الموضوع مغرياً بضمونه، فإن الإقبال عليه من قبل الباحثين يكاد ينعدم، بحيث يجد من يقدم على دراسته نفسه في شبه فراغ. فجل المادة حول المواسم ما تزال مجھولة وغير مجموعه، وحتى لائحة أسماء المواسم بالإقليم؛ وهي الجزء الأبسط في العملية، لم تضبط بعد، ونفس الشيء بالنسبة لمظاهر الاحفالات دون طمع في الحديث عن قراءتها وتأويلها. وفي محاولة للتغلب على المشكل تم اللجوء إلى الرواية الشفوية والمقابلات مع أبناء المنطقة وبعض الأعمال المنجزة وعلى رأسها بعض الأبحاث التي أجزتها مندوبي وزارة الثقافة ببني ملال التي دأبت خلال عقد التسعينيات من القرن العشرين، على إنجاز استثمارات حول المواسم التي تعقد وتنظم، لكن؛ وللأسف، ضاعت هذه الأعمال ولم ندرك منها إلا بحثاً حول "موسم سيدى عبد الله بأفورار" واستماراة حول "موسم سيدى إبراهيم الطيبى" بتاكزيرت، وأخبرتنا الموظفة المسئولة أن من يهتمون بالموضوع؛ طلبة وغيرهم،

..	ج.ق. إنركي	ج.ق. 6 شتنبر	سيدي علي اوحساين	23	
..	دورا إمسوفة ج.ق. ايت محمد	شتني 15	ناكيرت	24	
..	ج.ق. سيدى بولخلف	شهر شتنبر	سيدي بولخلف	25	
..	ج.ق. أواولا	الجمعة 1 شتنبر	بوقطار	26	
..	مدينة دمنات	نهاية شتنبر	عيساوية وحمائشة	27	مواسم الخريف
..	ج.ق. أفورار	النصف 1	سيدي عبد الله بن أحمد	28	
..	ج.ق. تيموليلت	النصف 2	سيدي يحيى	29	
..	دورا إكرط ج.ق. بنى عباط	سبعين المولد النبوى	سيدي علي بن إبراهيم	30	
..	ج.ق. بزو	سبعين وعاشر المولد النبوى	سيدي الصغير المعivar	31	
..	..	..	سيدي مالك	32	مواسم المولد النبوى
..	أيت يعم بابت عتاب	المولد النبوى	سيدي حيدرو	33	
..	أيت عتاب أبادو	..	سيدي عيسى بن إدريس	34	
..	أولاد غنام بابت عتاب	؟ مولاي بوعنان	؟	35	
..	جل إغوناين	؟ سيدى جابر نيعنان	؟	36	مواسم يهودية
..	مدينة فم الجمعة	هيلولة 17-14 ينایر	هيلولة	37	
..	ج.ق. تيديلي فطواكة	من 20 إلى 30 ماي	دافيد درعة	38	

الصنف	الرقم	الاسم	التوقيت	المكان	الإقليم
مواسم الربيع	1	سيدي عيسى	الأربعاء 2 من مارس الفلاحى	أيت عتاب أبادو	أزيلال
	2	سيدي بورجا	بداية الربيع	ج.ق. أيت مازيع	..
	3	سيدي أحمد أوموحا	شهر مارس	ج.ق. تيلوكيت	..
	4	مولاي يعقوب	مارس 24	ج.ق. تباروشت	..
	5	المعروف إحنصال	مارس 15 و 1	ج.ق. أيت محمد	أبريل
	6	إنداغرن	مارس 22	ج.ق. تيموليلت	..
	7	الرحمن	ج.ق. أيت وردة	شهر مارس	..
	8	أيت أناريال	ج.ق. تيموليلت	شهر مارس	..
	9	سيدي لحسن أوحساين	أول جمعة من دوار أيت إغرم	دوار أيت إغرم	..
	10	أغانان	أبريل 26	ج.ق. أيت محمد	أبريل
	11	سيدي وزكان	دوار أمازير بابت عتاب	أبريل الفلاحى	..
	12	مولاي عبد القادر	18 و 19 مارس	ج.ق. تيلوكيت	..
	13	العسل	النصف الثاني من يوليون	ج.ق. تانانت	..
	14	أيت علي	الجمعة 1 من غشت	ج.ق. تيفنى	..
	15	تركمي	الجمعة 2 من غشت	..	..
	16	أيت بو عيسى	الجمعة 3 من غشت	..	..
	17	سيدي هشام	الجمعة 4 من غشت	..	..
	18	أيت خلوف	غشت	ج.ق. تيفنى	..
	19	سيدي بوعلى	غشت	ج.ق. سيدى بولخلف	..
	20	سيدي خلوف	غشت	ج.ق. أواولا	..
	21	سيدي عيسى	الجمعة 4 من غشت	ج.ق. أيت ماجدن	..
	22	سيدي محمد أو محمد	غشت	ج.ق. واويزغت	..

## ١-٤- المجال:

بمجرد إلقاء نظرة على الموضع التي يحتفل فيها بالمواسم نكتشف بسهولة أنها المناطق الجبلية والدير، وهذه هي المناطق الأقدم تعميراً في الإقليم لتوفرها على عناصر الحياة الضرورية وخاصة الماء والأمن، وهي أكثر من هذا مناطق قروية مكونة من دواوير وقرى. وهذا ليس بالأمر الغريب إذ إن الفلاحين – كما يقول أحمد مرسي – "أكثر قدرة من غيرهم على أن يحتفظوا لمدة أطول بالعادات والأغاني والحكايات وما إلى ذلك، وأن يتذكروا أكثر من ساكني المدن"<sup>(٦)</sup>. ويمكن بناء على ذلك اعتبار المواسم ملكاً لأهل القرى؛ لذلك نسميها أيضاً مواسم فلاجية أو زراعية، وكذلك وجود نوع من العلاقة الطردية بين التمدن وجود الفلكلور وخاصة المواسم.

## ١-٥- الزمان:

يبين الجدول أن زمان الموسم ينقسم إلى قسمين: زمن قمري يهم أساساً مواسم المولد النبوي، وزمن شمسي يخص المواسم الفلاحية وينقسم بدوره إلى قسمين واحد يتبع التحقيق اليولياني الروماني(Julien) (الفلاحي) وآخر يقوم على التحقيق الغريغوري المسيحي، والفرق بينهما اثنا عشر يوماً يتقدم بها الثاني على الأول. ونلاحظ أيضاً أن التحقيق الشمسي يهم ثلاثة أرباع السنة والتي توافق فصول الربيع والصيف والخريف وهي فصول النشاط الفلاحي والحياة والإنتاج، لذلك يشار إلى أن هذا التحقيق إنما حل فقط محل تحقيق عرف بالفلاحي كما سنبين أسفله. وحتى بالنسبة لمواسم التحقيق القمري وبناء على مظاهر الاحتفال المشابهة فيرجح جداً أن تكون أصلاً من النوع الأول ثم غير التاريخ لتكييفه مع المناسبة الدينية التي صارت تنسب إليها، وهذه أمور مألوفة في المغرب العربي كما يؤكّد دوتي<sup>(٧)</sup>.

## المواسم في إقليم أزيلال

## ١-٣- التسمية:

يلاحظ من خلال الجدول أن أسماء المواسم وبنسبة الثلثين هي أسماء أولياء ومتصوفة، بينما يهم الثالث المتبقى أسماء جماعات قروية وبلدان(٥) – ٦ – ٨ – ١٠ – ١٣ – ١٦ – ١٧ – ١٩ – ٢٥ – ٢٦ – ٢٨ – ٢٩). وإذا كان بعض هؤلاء الأولياء معروفاً ومشهوراً كشخصيات تاريخية مثل: سيدى علي بن إبراهيم وسيدي عيسى بن إدريس، فإن أغلبهم شخصيات محلية ومحظوظة، وحتى تضفي الرواية الشفوية نوعاً من الواقعية على وجودهم تتذرع بأنهم غرباء دخلوا البلد وماتوا به ثم دفنوا هناك. ويعطي سيدى عبد الله بن أحمد بأفورار(رقم 30) أحسن مثال حيث لا يعرف السكان عنه شيئاً وحتى ضريحه لم يُبن إلا في الفترة الاستعمارية على يد أحد المعمرين، كما أنه لم يترك حفة لذلك لا يجد من يدعى الانتساب إليه أو حق الاستفادة مما يقدم لضريحه من هدايا<sup>(٣)</sup>، وكذلك سيدى جابر نيوناين (39) بجبل إينوغوناين الذي لا يتوفر على ضريح. وهذا يبين الطابع الأسطوري لبعض هذه الشخصيات. وعملية ربط هذه الاحتفالات بالأولياء معروفة عند كثير من الشعوب فمثلاً أطلق المسيحيون أسماء قديسين على كثير من احتفالات الوثنين<sup>(٤)</sup>. وفي هذا السلوك استفادة متبادلة بين الطرفين، فالجماعة القراوية تحصل على الشرعية الإسلامية لأساطيرها ومارساتها واحتفالاتها كما تحصل على زمان تاريجي مرتبط بحياة الولي مما يضمن الواقعية والتجدد لأساطيرها المحلية<sup>(٥)</sup>، أما بالنسبة للمتصوف مثل الإسلام فينجح في إضفاء الطابع الإسلامي على الممارسات الوثنية معتقداً أنه احتواها بذلك ومكتفياً بهذا التنازل القليل الذي لا يحمل من الإسلام إلا الاسم كما سنبين أسفله. ولا ندري من سعى أولاً إلى هذه التوأمة هل الجماعات أو المتصوفة أم الوثنين معاً.

يفتح المجال للزوار للمشاركة متى هزهم الشوق والهوى. ومن الفرق التي تؤثر مجال المواسم فرق الطبل والغيطة وأحيدوس وإمديازن والشيخات<sup>(10)</sup>.

#### ١-٦-٤- الفروسية:

تحضر المواسم فرق الفرسان التي تمثل القبائل المشاركة فيه، ويزداد عددها كلما ازدادت شهرة الموسم<sup>(11)</sup>. ويلاحظ أن الاهتمام بالفروسية والولع بها خاص بالقبائل العربية، لذلك نعتقد ونرجح أن يكون حضور هذا النشاط مرتبًا باستقرارها في المنطقة واندماجها مع سكانها الأصليين، وهذا يظهر خاصية أخرى للموسم وهي التجدد والتطعيم بعناصر جديدة. ونرجح أيضًا أن يكون حضور الفروسية في المواسم قد توسع في الفترة الاستعمارية بعدما فقد الفارس دوره الحربي وصار عنصراً لزينة تؤثر في المناسبات، وما يجعلنا نعتقد ذلك هو الشهادة التي تركها لنا شارل دو فوكو والتي تبين شبه غياب الخيول في المنطقة عدا عند أيت بو زيد الذين يستغلون السوق الأسبوعي يوم الأحد للتسابق والتدريب على الفروسية<sup>(12)</sup>.

#### ١-٦-٥- الضيافة:

اعتادت القبائل أن تستضيف زوارها طيلة أيام الموسم، حيث أن أيت بو زيد مثلاً يحضرون الخبز إلى ضريح سيدي عيسى بن إدريس في اليوم الأول من الموسم، في حين يعد أيت يعزم الكسكس من الشعير (التشيشة) يوم الجمعة<sup>(13)</sup>. هذا بالإضافة إلى استضافة أفراد القبيلة للزوار في بيوتهم لتناول الوجبات والإقامة.

#### ١-٦-٦- الاستسقاء:

تستغل الجماعات المنظمة للمواسم المناسبة للاستسقاء<sup>(14)</sup>. ويظهر أن

### ١-٦- مظاهر الاحتفال:

يصعب علينا في هذا العرض أن نعتمد على كل المواسم لأننا بكل بساطة لا نملك معلومات كافية عنها، لذلك سنعتمد على عينة تخص ثلاثة مواسم: سيدي عيسى بن إدريس (رقم 1) بأبادو بآيت عتاب وسيدي علي بن إبراهيم (رقم 32) بإكروط ببني عياط وسيدي عبد الله بن أحمد (30) بأفورار. ولحسن حظنا بهذه العينة التي تجمعت بالصدفة تغطي تقريباً كل أصناف المواسم (الربيع - الصيف - المولد النبوى)، وبالرغم من أنها تعطي فقط القسم الشمالي من الجهة فلن يمنع ذلك اقترابنا من واقع الاحتفال. وتضم الاحتفالات العناصر التالية:

#### ١-٦-١- زيارة الضريح:

تعتبر زيارة ضريحولي عنصراً أساسياً عند الساكنة، لذلك تم وفق طقوس تكاد تتشابه عبر المغرب من تقبيل ودعاء وملس وصلاة وطواف وتقديم الهبات والهدايا، ويضاف إليها تجمع حفظة القرآن داخل الضريح وتلاوته بشكل جماعي مع إنشاد الأمداح النبوية والدعاء للجماعة<sup>(8)</sup>.

#### ١-٦-٢- تقديم القرابان أو الذبيحة:

القرابان يكون في العادة عجلاً كبيراً<sup>(9)</sup>، وتقدمه القبائل المجاورة بمساهمة الساكنة في ثمنه أو يتم الطواف على أهل السوق لجمع التبرعات لشرائه.

#### ١-٦-٣- حفلات الغناء والرقص:

تشارك في إقامة الموسم فرق شعبية للرقص والغناء تتشكل بالأساس من أبناء جماعات المنظمة. وتضم أفراداً من كل الأعمار ومن الجنسين بل أكثر من هذا

يشنها علماء السنة على المواسم والتي اتخذت طابعا رسميا مع السلطان مولاي سليمان الذي أصدر مرسومه المشهور وأيديه في ذلك جماعة من العلماء مثل أحمد الناصري وعبد السلام بن محمد السرغيني ومحمد كنوني المذكور (16).

## ١ - المواسم في التاريخ: البقایا القدیمة.

ينصب الاهتمام في هذه النقطة على البحث عن بعض البقایا التاريخية القدیمة التي احتفظت بها المواسم من فترات بعيدة تعود إلى ما قبل الإسلام.

## ٢ - التحقيق:

كما سبقت الإشارة أعلاه فمواعيد المواسم تحدد وفقا للتحقيق الشمسي بصنفيه اليولياني والغربيغروري، وحتى بالنسبة للمولد النبوى فيراودنا الشك بأنه كان في الأصل موسم فلاحيا ثم عدل تاريخه ليوافق المناسبة الدينية، على الأقل بالنسبة لبعض المواسم. ونلاحظ أن الاحتفالات تم خلال شهور الربيع والصيف والخريف وهي فصول النشاط الفلاحي الأساسية، وهو ما يرى فيه كثيرون دليلا على تحقيق قديم مبني على الأنشطة الفلاحية نسي وقدت معالمه ما عدا الاسم الذي يطلق على التحقيق اليولياني، وحصل اعتماد التحقيقين السابقين لتسهيل عمليات الحساب. وقد عرف هذا التحقيق عند شعوب متropicالية مثل الكنعانيين مزاعين ورعاة الذين يخلدون بداية الربيع باحتفالات انتقلت فيما بعد إلى اليهودية والمسيحية (17). وفي ورحلة بلاد الزاب بالجزائر يعتمد السكان تحقيقا مرتبطا بالأرض وخصوصيتها وتنظيم الأنشطة الفلاحية، ويسمى التحقيق البربرى، ويقوم على تقسيم السنة إلى قسمين: قسم ميت يوافق فصل الشتاء (تاگرسست)، وقسم حي يضم فصول الربيع (فترة الشعير / تومزين / أومندي) وتخلد بدايته بحفلة في الأربعاء الذي يلي الاعتدال الربيعي (18) ونهايته بحفلة لغنية (طاف الفتيات

الظاهرة عامة وواسعة الانتشار في المغرب إذ إن محمد كنوني المذكور؛ في إطار انتقاده للمواسم وما يجري فيها، توقف عند هذه القضية ورفضها واعتبرها مجازة للمارسة الشرعية لصلة الاستسقاء (15).

## ١ - ٦ - ٧ - التجارة

لم تكن المواسم تقليديا تعرف تبادلا تجاريًا عدا بيع بعض المواد التي تدخل في طقوس زيارة الولي، أو تحمل شحنة بركة ينقلها الزائر إلى أسرته ومن خلفهم في قريته ولم تتح لهم فرصة الزيارة. لكنها؛ ومن خلال المعاينة، تحولت وبفعل الوظائف الجديدة التي صارت تقوم بها (مساهمة في تنمية الجماعات) إلى أسواق سنوية تختلف أهميتها حسب أهمية الموسم ومكانة المنطقة الاقتصادية ومدى افتتاحها على الخارج. وهكذا نجد كل أصناف البضائع من مواد غذائية (مصنعة وفلاحية) وتجهيز منزلي (أواني وأفرشة)، وألبسة، وألعاب، ومواد الزينة (عطور وحلبي)، وأدوات فلاحية من كل الأصناف، وخدمات متنوعة مشروعة وحتى غير المشروعة (مقاهي - سرak - ألعاب الحظ - حلقة...). وهذا يجعل من الموسم موردا اقتصاديا مهما للجماعة يساهم في تنميتها، مما شجع كثيرا منها على إحياء مواسم أهللت وكادت تنسى (مثلاً أعيد الاحتفال بموسم تيلوكيت في أيت عباس منذ ثلاث سنوات فقط).

بعد هذا الاستعراض السريع لمظاهر الاحتفال يتبين مدى التداخل والاختلاط العجيب بين سلوكيات وتصورات من عصور مختلفة وثقافات متعددة، كما يظهر أن العنصر الإسلامي فيها؛ وحتى في المولد، ضعيف ولا يتجاوز تلاوة آيات قرآنية وأمداح نبوية، وما تبقى فهو من صميم الثقافة المحلية. وقد نستنتج من هذا فشل المتصرفون في احتواء الثقافة الوثنية وتحولهم إلى ضحايا لها وسقوطهم في حبالها، إذ استغلتهم لضمان شرعيتها واستمرارها، ولعل هذا ما يبرر الحملات الشعواء التي

الورد، ثم يذبح تحت التهليل. ويترك ليقوم بعد النحر ويخترق صفوف الجمهور محدثا بعض الحوادث<sup>(21)</sup>. ويقسم اللحم على المساجد<sup>(22)</sup>.

في تاكزيرت يتم شراء ثور ويدبح في طقوس دينية، ثم يتتسابق الجذابون لشرب دمه<sup>(23)</sup>.

يلاحظ من هذه الطقوس أنها أقرب إلى السحر منها إلى شيء شرعي، وربما يكشف هذا عن أصولها الوثنية القديمة. فذبح الثور ممارسة معروفة عند كثير من الشعوب كطقوس فلاحي<sup>(24)</sup>، ووُجِدَت عند البربر حفلة تسمى بحفلة الثور<sup>(25)</sup>، كما كان رحل الكنعانيين يذبحون خروفًا تعبيراً عن عودة الحياة انطلاقاً من الموت<sup>(26)</sup>.

### ١- ٣ - حفلة الخطوبة:

يقام في مواسم سيدى عيسى بن إدريس<sup>(39)</sup> وسيدى حديث<sup>(38)</sup> وسيدى بوعنان<sup>(40)</sup>؛ وكلها في أيت عتاب، احتفال خاص بالفتيات، حيث تجتمع البالغات منهن في أضرة الأولياء الثلاثة رفقة جداتهن أو أمهاتهن أو إحدى النساء المسنات من الأقارب أو الحيران، ويسمح للشبان الراغبين في الزواج بالقدوم لرؤيتهن. وإذا وقع اختيار أحدهم على واحدة منهن يتصل بالمرأة المسنة ويسأّلها عنها، فإن أعجبه ما سمع يعرفها بنفسه ويشتري لها بعض الهدايا من تم وحناء ومائولات أخرى، ثم يتقدم بعد ذلك إلى ولي أمرها لخطبتها رسمياً<sup>(27)</sup>. فهذا موسم خطوبة يقام مناسبة المولد النبوى يشبه ما يقع في بعض المناطق مثل الموسم المشهور بأيت حدido وشرق الأطلس الكبير (لاحظ التقارب بين أيت حدido وسيدى حدido!).

ولا يقتصر الأمر على شمال إفريقيا بل وجد التقليد أيضاً في منطقة التراس شمال اليونان وفي بلغاريا، حيث تجتمع الفتيات اللاتي بلغن سن النضج الجنسي للرقص كمسلسل للزواج، ويتنقلن بين بيوت القرية ويجمعن الهدايا، وفي النهاية يتوجهن

بدمية وجمع هبات من السكان)، والصيف (فترة السواقي / تارغوين) وتخلد بحفلتي رش الماء المتبادل والعنصرة، وفصل الخريف (فترة التمر / تيني) الأقصر إذ لا يغطي أكثر من شهر أو شهر ونصف وهو الأكثر تقديساً<sup>(19)</sup>. إلا يعطي هذا التحقيق صورة عما يحدث في إقليمنا؟ وإذا لاحظنا موعد موسم سيدى عيسى بن إدريس بأيت عتاب (بين 20 و 27 مارس الغريغوري) نجد أنه يوافق الاحتفال بدخول الربيع في ورغلة. وهذا يجعلنا نرجح أن يكون التحقيق المعتمد في تحديد مواعيد المواسم تحقيقاً فلاحياً قديماً فرغ بفعل الزمان في التحقيق الشمسي بصنفيه الولياني والغريغوري سابقًا بذلك العهد الإسلامي.

### ٢- ٢ - الذبيحة:

في كل مواسم العينة المعتمدة كنماذج لدراسة مظاهر الاحتفال يتم تقديم ثور قربانا، ويعامل بطريقة خاصة قبل أن يذبح على الضريح. وسنعمل على استعراض مظاهر إعداد الذبيحة في ثلاثة مواسم قبل التعليق.

في موسم سيدى علي بن إبراهيم تقدم ثلاثة ذبائح يسمونها التحيرة ويعتبرونها بمثابة عقيقة للرسول (صلعم)، ويضم ثلاثة ثيران ضخمة لأولاد موسى وأولاد حسان وأهل الزاوية. ويتم الذبح وفق طقوس مضبوطة، إذ ينطلقون بالثور من المصلى، ويطاف به حول الضريح، بينما ترتفع أصوات الرجال بالصلوة على النبي والنساء بالزغاريد، ثم يعودون به إلى نقطة الانطلاق، وتتكرر العملية ثلاث مرات وبالنسبة لكل ثور قبل أن يذبح. وتقول الرواية الشفوية إن الذبائح كانت فيما مضى أكثر وأهمها ناقة أهل الشاوية<sup>(20)</sup>.

وفي موسم سيدى عبد الله بن أحمد يتم شراء ثور كبير من طرف السكان، ويقاد من وسط مدينة أفورار في موكب كبير إلى باب الضريح؛ بينما يتهافت الجمهور على روئيه ولمسه، ويطاف به ثلاث مرات حول الضريح، ويرش بماء

أليست هذه عبادة الصخور الوثنية؟ واضح بجلاء بعدها الوثني وكونها من المخلفات المقاومة التي لم ينجح المصلحون في تعديلها.

أظهرت العناصر المدرورة في هذا الجزء أن مواسم الجهة تحفظ بكثير من عناصر التاريخ الموجلة في القدم، حيث تعود إلى الفترة ما قبل إسلامية وتعكس جزءاً من تراث الجماعات القبلية البربرية/الأمازيغية القديم جداً.

#### خاتمة:

يعج إقليم أزيلال بعدد هائل من المواسم بصنفيها الفلاحي والديني، وقد نجحت عبر تطورها التاريخي في التجدد والاغتناء بعناصر جديدة ضمنت لها الحياة والاستمرار في ظل المتغيرات التاريخية الجديدة وخاصة انتشار الإسلام، وكان للجماعات القروية المحافظة أكبر الأثر في ذلك. ومن خلال دراسة مظاهرها وكذلك البقايا القديمة التي تخفيها اتضحت أنها قديمة وعريقة تعود إلى فرات تاريخية مجهولة تتصل أساساً باستقرار الإنسان في هذه البلاد، ولكنها كانت تتجدد باستمرار وتغتنى بعناصر دخيلة عبر مسارها التاريخي. ولم تنجح محاولات رجالات الإسلام وخاصة المتصوفة في احتواها إلا اسمياً في معظم الأحيان، لأنها هي التي احتوتهن بإعطاء الشرعية ل مختلف الممارسات التي تعرفها ولم تتنازل إلا في أشياء قليلة جداً، ولذلك ظلت دائماً محل انتقاد من قبل علماء الإسلام.



إلى ضفة النهر ويضعن تيجانهن فوق الماء وحسب سرعة جرف التيار للتايج يتحدد ترتيب زواج الفتيات<sup>(28)</sup>. وكما يظهر فهذا تقليد فلاحي وثنى عالمي الطابع أو على الأقل متوسطي.

#### ٤- الرقص:

يشكل الرقص كما رأينا أعلاه عنصراً مهماً في الاحتفالات، وسجلنا تلك المشاركة الجماعية لكل أبناء القبيلة بمختلف الأعمار ومن كلا الجنسين، بل وفتح الباب لكل الزوار الذين يجدون في أنفسهم القدرة والرغبة للاخراط فيه، حيث تبدأ الدائرة صغيرة ثم توسيع باستمرار إلى أن تتضخم. ويرى بعض الباحثين في الرقص طقساً يثبت بالحركة والإيقاع العلاقة بالزمان الدائري، لذلك تحرص الشعوب على تعليم الشباب فن الرقص ويفعل الأكثر شباباً ما يفعله الأكثرشيخوخة للدخول رويداً رويداً في زمان الكهول<sup>(29)</sup>. فالرقص بذلك وسيلة للاندماج الاجتماعي عند الجماعات القروية.

#### ٥- تقديس أوثان:

لنتحدث عن عقيدة الأولياء وما تحتويه من تقرب للأضرحة وتمسح بها باستعمال وسائل عديدة ومتنوعة، ولكننا سنتقتصر على بعض الممارسات التي تحمل طابعاً وثنياً خالصاً.

لا يتوفّر سيدني جابر نيعوناين على ضريح، بل فقط حجر كبير يعتقد أنها نتيجة مسخ راع وأغنامه لأنّه طرد ناقة أحد الانبياء ومنعها من وضع حملها في ذلك المكان<sup>(30)</sup>، وإلى جوارها أحجار أخرى أصغر منها. ويغلف السكان الحجر الأم بجموعة من الحيوط ويطوفون بها ويقبلونها، ويمرون عبر واحدة يخترقها ثقب فمن كان صالحًا مرّ بسلام ومن كان فاسداً سجن في الثقب إلى أجل غير مسمى<sup>(31)</sup>.

DOUTTE, *Marrakech*, Paris, 1905, p.264 – 1

2 – أدخل مصطلح فلكلور عام 1846 على يد الإنجليزي ولIAM تومس ويكون من الكلمتين: folk التي تعني شعب وكلمة Iore التي تعني معرفة أو حكمة، ومجموعهما يعني معرفة أو حكمة الشعب. والمصطلح يعني الموضوع والعلم الذي يدرسه في نفس الوقت. وقد قام AHMED MERSI بوضع تعريف حاول أن يجمع فيه كل اقتراحات التعريف المتوفرة، وجاء تعريفه كما يلي: الفلكلور هو "الفنون والمعتقدات وأنماط السلوك الجمعية التي يعبر بها الشعب عن نفسه، سواء باستخدام الكلمة أو الحركة أو الإشارة أو الإيقاع أو الخط أو اللون أو تشكيل المادة أو آلة بسيطة" ويضم الأساطير والحكايات الشعبية والنكات والأمثال واللغاز والترانيم والتعاويذ واللعنة وأساليب التحية والوداع والقسم والصيغة السحرية والتلاعيب بالالفاظ والعادات الشعبية والرقص الشعبي والدراما الشعبية والتمثيل الإيمائي والفن الشعبي والطبع الشعبي والمعتقدات الشعبية والموسيقى الشعبية والآلات والأغانى الشعبية والشعر الشعبي والألعاب الاحتفالات ... ، ص. 107 – 108، وقد تستعمل الكلمة بشكل قدحي للدلالة على الفنون الشعبية، للتتوسع انظر "مقدمة في الفلكلور" دار الثقافة، القاهرة، 1981 وأيضا "folklore" in ency. Universelle, t. 9, 1990, pp. (601 – 608) & "folk arts" ency. Britanica, t. 19, 1995, pp. (306 – 338)

3 – بدوي إبراهيم، موسم سيدى عبد الله بن أحمد بأفورار، مندوبة وزارة الثقافة ببني ملال، 1996 (مرقون)، ص.3.

4 – عيد الفصح الذي يحتفل به اليهود كذكرى خروجهم من مصر والنصارى كذكرى لبعث المسيح بعد موته في منتصف أبريل ليس أكثر من احتفال وثنى فلاحي. مناسبة فصل الربيع. انظر Mercea Eliade, *Aspect du mythe*, ed. Gallimard, 1963, pp. 209

HAUBERT H., *Mélanges d'histoire des religions : Étude sommaire de la représentation du temps dans la religion et la magie*, École pratique des Hautes Études, section des sciences religieuses. Paris, 1905, pp. (1 – 39) p. 8

6 – AHMED MERSI، الرجع السابق، ص.104 و *Johan Gottfried Von Helder, Folklore*, 2005

WIKIPEDIA encyclopédie libre.

DOUTTE, op. cit. p.382. – 7

8 – قبيلة أيت عتاب، ص.217 موسم سيدى عبد الله، ص.5.

9 – بلعيدي والربات، المواسم بجهة تادلة - أزيلال، كلية الآداب ببني ملال، 2005 – 2006

- ص.38 (بحث إجازة مرقون) وموسم سيدى عبد الله، ص.6.
- 10 – قبيلة أيت عتاب، ص.215، وموسم سيدى عبد الله، ص.9.
- 11 – نفسه، ص.21 وموسم سيدى عبد الله، ص.8.
- 12 – دو فوكو شارل، التعرف على المغرب، ترجمة المختار بالعربي، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، 1999، ج.1، ص.94 و97 و100.
- 13 – قبيلة أيت عتاب، ص.216.
- 14 – نفسه، ص.218 وموسم سيدى عبد الله، ص.7.
- 15 – دحو مصطفى، "علماء المغرب ومقاومتهم للبدع"، جريدة السبيل، 2007، ص.122.
- 16 – نفسه، ص.121 – 124.
- VILLARS Gay, *histoire de la fête* , Nouvel Essor, n. 221, décembre 2006 et 17 Mercea, op. cit. p.209.
- 18 – يبدو أن هذا اليوم له قدسية كبيرة في المنطقة حيث نجد أن يوم الأربعاء في موسم مولاي بوعززة يعرف إقامة الحضرة وتقديم الهدية طيلة أيام الموسم التي تنتد من منتصف مارس إلى منتصف أبريل. أنظر الملف الأسابيعي حول موسم مولاي بوعززة، جريدة المساء، عدد 795، السبت والأحد 11 و 12 أبريل 2009، ص.(17 – 18)، ص.17.
- DELHIEURE J., *Calendrier agraire de OURGLA*, Encyc. Berbère, EDISUD, la Calade, 1992, t.11, pp. 1717 – 1718.
- 20 – المواسم في جهة تادلة - أزيلال، ص.38.
- 21 – في موسم مولاي بوعززة يعتقد أن وقوف القربان بعد الذبح يحيل على إحياء الولي للموتى، التقرير السابق، ص.19.
- 22 – بدوي، المرجع السابق، ص.7.
- 23 – استماراة مندوبة وزارة الثقافة ببني ملال عن موسم سيدى إبراهيم الطبي، ص.2. يبدو أن عادة شرب الدم وأكل اللحوم نية منتشرة في الأطلس المتوسط، وتمارس بقوة في موسم مولاي بوعززة حيث تقطع الجديان القرابين بالأيدي وتوكل نية، التقرير السابق، ص.18.
- LEVY, *Sacrifice du buffle*, *Bulletin de l'institut indochinois pour l'étude de l'homme*, t.6, 1943, pp. 301 – 331
- Fêtes traditionnelles*, p.2, in Christian Mando, *Les origines de l'Arbre de Mai*, sur net.

VILLARS, op. cit. p. — 26

27 - عيسى العربي، المرجع السابق، ص. 219 و 233.

28 - ينبع هذا الاحتفال من أسطورة فتاة تدعى روجا تزوجت بنتين طمعا في الثروة والجاه، ثم ماتت خجلا من أن تراها صاحباتها بذيل تنين، فلما وجدتها صاحباتها دفنتها، لذلك صرنا نجتمع سنويا عند قبرها للرقص. وتشذ رقصتهن شكل ذيل التنينة.

29 DES ROCHES D., *La fête et l'homme. Réflexion sur le temps, le folklore et la tration*, www.vigile.net.

30 - للرعاية مكانة متميزة في حوض البحر المتوسط، ولاكتشاف ذلك انظر Grimal, P., *Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine*, PUF, Paris, 1994.

31 - الموسام في جهة تادلة - أزيلا، ص. 30. هذه العادة موجودة في المنطقة بكثرة حيث نجدها في إيفي نفري بدمනات وكذلك في موسم مولاي بوعز، انظر التقرير السابق، ص. 19. وتشير هذه العملية عند الجماعات الوثنية في مناطق الحوض المتوسطي والشرق الأقصى إلى إعادة الولادة من الأرض الأم، حيث يمثل الثقب مخرج الرحم، Mercea, op. cit.p.103. -104.

## القصور بالجنوب المغربي

محمد امراني علوی\*

### تقديم

تعرف المناطق الجنوبية وبالأخص واحة تافيلالت ودرعة وجود العديد من القصور والقصبات، بخلاف باقي المناطق الأخرى، باعتبارها نمط استقرار وسكن متميز من حيث خصوصياته، وتأثره بالمعطيات الطبيعية والاقتصادية والسياسية، منذ انتشار ظاهرة بناء القصور في المنطقة، مما كان له انعكاس على المستوى التنظيمي للقصر، الذي يسهر على تسيير الحياة العامة به، في إطار نوع من العلاقات الاجتماعية التي تسود سكانه باعتباره خلية تضم العديد من السكان في نوع من الترابط الاجتماعي الغير المتوفر في غيرها من أماكن الاستقرار. فما هي مميزات القصور بتافيلالت، منذ اندثار مدينة سجلamasة، من الناحية العمرانية؟ وكذا القوانين المسيرة للحياة العامة بها؟

\* باحث، الرشيدية.